

(٨٥) سورة البروج

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها اثنتان وعشرون نزلت بعد سورة الشمس تعرض لحقائق العقيدة ومحورها حادثة أصحاب الأخدود وهي قصة تدل على مدى التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان بدأت السورة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة وباليوم العظيم المشهور وهو يوم القيامة، وبالرسل وبالخلائق.

ثم تناولت قصة أصحاب الأخدود، ثم تلاها الوعيد والإنذار والهلاك من هؤلاء الفجار على فعلتهم الشنيعة، وبعد ذلك تحدثت عن قدرة الله عز وجل على الانتقام من أعدائه الذين فتنوا عباده وأوليائه. وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار فرعون وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار نتيجة البغي والطغيان، وهو ختام رائع يلائم موضوع السورة، وسميت بسورة البروج حيث أقسم الله عز وجل بالسماء وما فيها من بروج وكواكب كلها شاهدة على وحدانية الله وصمدانيته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ ﴿١٠﴾ وَهُمْ فِي عَذَابٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿١١﴾ ﴿

معاني المفردات:

اليوم الموعود: يوم القيامة	ذات البروج: ذات المنازل للكواكب
مشهود من يشهد عليه غيره	شاهد: من شهد على غيره
الأخدود: الشق العظيم كالخندق	قُتِلَ: لُعِنَ أشد اللعن

ما نقموا: ما كرهوا أو ما عابوا

فتنوا: عذبوا وأحرقوا

التفسير:

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ يقسم الله عز وجل بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها، قال المفسرون: سميت هذه المنازل بروجاً لظهورها، وشهرت بالقصور لعلوها وارتفاعها لأنها منازل للكواكب السيارة ﴿وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ﴾ أى وأقسم بيوم القيامة الذى وعد الله به الخلائق ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ أى وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أمهم فى هذا اليوم ويجمع الأمم والخلائق الذين يجتمعون فى أرض المحشر للحساب، وقيل الشاهد هذه الأمة والشهود سائر الأمم^(١) ﴿قَتِيلٌ أَضْحَبٌ الْأَخْدُودِ﴾ هذا هو جواب القسم والجملة دعائية أى قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود الذين شقوا الأرض طولاً وجعلوها أخاديد وأضرموا فيها النيران ليحرقوا بها المؤمنين، وخلاصة قصة أصحاب الأخدود "أن ملكاً ظالماً كافراً أسلم أهل بلده فأمر جنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضوه على النار فمن لم يرجع عن دينه فليلقوه فى النار ففعلوا ذلك، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعت أن تقع فيها، فأنطق الله الغلام وقال لها: يا أماه اصبرى فإنك على حق" تفاصيل القصة كاملة فى صحيح مسلم.

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ أى النار العظيمة المتأججة، ذات الخطب واللهب التى أضرمها الكفار فى تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين، ثم بالغ سبحانه وتعالى فى وصف المجرمين فقال ﴿إِذْ هُرِّعَتْهَا لِقُودٍ ﴿١٠﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أى حين هم جلسوا حول النار يتشفون بإحراق المؤمنين فيها، ويشهدون ذلك الشنيع، والغرض هو تخويف كفار قريش فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله تعالى قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتسلية للمؤمنين

(١) اختلف المفسرون فى تفسير "الشاهد" و"المشهد" اختلافاً كبيراً حتى ذكر بعضهم فيها أقوالاً كثيرة فقيل أن الشاهد هو محمد والمشهد هو يوم القيامة وقيل أن الشاهد جوارح الإنسان والمشهد عليه هو ابن آدم، والأحسن أن يراد ما هو أعم ولذلك ذكرهما ليعم كل شاهد ومشهد "صفوة التفسير" ص ١٧٠٦.

المعذبين، ثم قال تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى وما كان لهم من ذنب ولا انتقموا منهم إلا لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد الغالب الذى لا يضام من لاذ بجناحه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله، فالغرض أن سبب البطش بهم وتحريقهم بالنار لم يكن إلا لإيمانهم بالله الواحد الأحد، وهذا ليس بذنب يستحقون به العقوبة ولكنه الطغيان والإجرام ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى إن الله عز وجل هو المالك لجميع الكائنات المستحق للمجد والثناء فهو سبحانه عزيز لا يغلب قادر يخشى عقابه حميد أى يجب له الحمد على نعمه الجزيلة وكل من فى السموات والأرض يحق له عبادته والخشوع له ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ هو سبحانه مطلع على أعمال عباده لا تخفى عليه خافية من شئونهم وفيه وعد للمؤمنين ووعد للكافرين، ثم قال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى الذين عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنهم عن دينهم ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعُوا ﴾ أى لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقِ ﴾ أى فلهم عذاب جهنم المخزى بكفرهم ولهم العذاب المحرق بإحراقهم المؤمنين.

الإعراب:

<p>الواو حرف قسم، والسماء مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم، وذات نعت مجرور والبروج مضاف إليه مجرور، واليوم الموعود عطف على السماء، وشاهد ومشهود عطف أيضا، وجواب القسم محذوف، وقد اختلف فيه دل عليه قوله "قتل أصحاب الأخدود".</p>	<p>وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ❶ وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ ❷ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ</p>
<p>قتل فعل ماض مبنى للمجهول، أصحاب نائب فاعل مرفوع، الأخدود مضاف إليه مجرور، النار بدل اشتمال مجرور من الأخدود، ذات الوقود نعت مجرور.</p>	<p>قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ❶ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ❷</p>

<p>إذا ظرف للزمن الماضي ، هم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ ، عليها جار ومجرور متعلقان بعود ، قعود خبر مرفوع بالضممة الظاهرة والجملة فى محل جر ، ما اسم موصول فى محل جر ، يفعلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل جملة الصلة لا محل لها من الاعراب ، بالمؤمنين جار ومجرور متعلقان بشهود ومشهود خبر مرفوع بالضممة الظاهرة.</p>	<p>إِذْ هُرِّعْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ</p>
<p>الواو عاطفة أو حالية ، ما نافية ، نعموا فعل ماض والواو فاعل ، منهم جار ومجرور متعلقان بنعموا ، إلا أداة استثناء للحصر ، أن يؤمنوا مصدر مؤول فى محل نصب مفعول نعموا ، أى ما عانوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان ، بالله جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا العزيز الحميد صفتان لله عز وجل .</p>	<p>وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ</p>
<p>الذى اسم موصول مبنى فى محل جر نعت ثالث ، له جار ومجرور خبر مقدم ، ملك مبتدأ مؤخر ، السموات مضاف إليه مجرور والأرض معطوف مجرور والجملة الاسمية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة والله مبتدأ ، وشهيد خبره ، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بشهيد.</p>	<p>الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ</p>
<p>إنَّ حرف توكيد ونصب ، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إنَّ ، فتنوا فعل ماض مبنى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها . المؤمنین مفعول به منصوب بالياء والمؤمنات معطوف منصوب بالكسرة ، ثم حرف عطف يفيد التراخى ، لم حرف نفى وجزم ، يتوبوا مضارع مجزوم علامة الجزم حذف النون والواو فاعل ، فلهم الفاء رابطة لجواب شرط مقدر مفهوم من المبتدأ ، لهم جار ومجرور خبر مقدم ، وعذاب مبتدأ مؤخر وجهنم مضاف إليه مجرور بالفتحة ممنوع من الصرف وجملة فلهم عذاب مبتدأ مؤخر ، الحريق مضاف إليه .</p>	<p>إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيبِ</p>

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿١﴾
 بَطْشٌ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ ﴿٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿٥﴾
 فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٩﴾
 وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿١٢﴾

معاني المفردات:

بطش ريك : أخذه الجبابة بالعباد

هو يبدئ : يخلق ابتداء بقدرته

يعيد : يبعث بعد الموت بقدرته

المجيد : العظيم الجليل المتعالى

التفسير:

بدأت الآيات الكريمات بذكر مصير المؤمنين فقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، ﴿ هُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أى لهم البساتين والحدائق الزاهرة التى تجرى من تحتها قصورها وأنهار الجنة قال الطبرى : هى أنهار الخمر واللبن والعسل^(١) ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ أى ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذى لا سعادة ولا فوز بعده، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن انتقامه الشديد من أعداء رسله وأوليائه فقال سبحانه ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى إنَّ أنتقام الله وأخذه الجبابة والظلمة بالغ الشدة قال أبو السعود : البطش الأخذ بعنف حيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، وهو بطشه بالجبابة والظلمة وأخذه إياهم بالعباد والانتقام^(٢) ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾ أى هو سبحانه وتعالى الخالق القادر، الذى يبدأ الخلق من العدم، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت، ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ أى وهو الساتر لذنوب عباده المؤمنين، اللطيف المحسن إلى أوليائه قال ابن عباس : يودُّ أوليائه كما يودُّ أحدهم أخاه بالشرى والمحبة^(٣) ﴿ ذُو

(١) تفسير الطبرى ٨٨/٣٠.

(٢) تفسير أبو السعود ٢٥٣/٥.

(٣) القرطبي ٢٩٤/١٩.

أَلْعَرْشِ» أى صاحب العرش العظيم، وإنما أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر، لأن العرش أعظم المخلوقات وأوسع من السموات السبع وخلق به هذا الوصف يدل على عظمة خالقه ﴿أَتَجِدُّهُ﴾ أى هو تعالى المجيد العالى على جميع الخلائق، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ﴿هَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ استفهام للتشويق، أى هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة، الذين حاربوا الرسل والأنبياء؟ وهل بلغك ما أحلَّ الله بهم من البأس وما أنزل عليهم من النعمة والعذاب؟ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أى هم فرعون وثمود، أولى البأس والشدة، فقد كانوا أشد بأساً وأقوى مراساً من قومك، ومع ذلك فقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أى لم يعتبر كفار قريش بما حل بأولئك الكفرة المكذبين، بل هم مستمررون فى التكذيب فهم أشد منهم كفراً وطغياناً ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ أى والله تعالى قادر عليهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه، لأنهم فى قبضته فى كل حين وزمان ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أى بل هذا الذى كذبوا به كتاب عظيم شريف، سما على سائر الكتب السماوية، فى إعجازه ونظمه وصحة معانيه ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أى فى اللوح المحفوظ الذى فى السماء، محفوظ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل.

الإعراب:

<p>إنَّ حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، آمنوا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، الصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم لهم جار ومجرور خبر مقدم، وجنات مبتدأ مؤخر مرفوع، تجرى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، من تحتها من حرف جر، تحتها ظرف فى محل جر والهاء مضاف إليه، الانهار فاعل مرفوع والجملة الفعلية "تجرى من تحتها الأنهار" نعت لجنات فى محل رفع، ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، الفوز خبر مرفوع والكبير نعت مرفوع.</p>	<p>إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ</p>
---	---

<p>إنَّ حرف توكيد ونصب، بطش اسم إن منصوب، ريك مضاف إليه مجرور، والكاف ضمير في محل جر مضاف إليه، لشديد اللام لام التوكيد، شديد خبر إن مرفوع بالضممة الظاهرة، إنه إن واسمها، هو ضمير فصل في محل رفع مبتدأ يدي فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر والجملة في محل رفع خبر المبتدأ ويعيد معطوف والجملة الاسمية "هو يدي ويعيد" في محل رفع خبر إن.</p>	<p>إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑤ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ</p>
<p>الواو عاطفة، هو ضمير مبنى في محل رفع مبتدأ، الغفور خبر مرفوع وما بعده أخبار، وبهذه الآية يستدل النحاة على تعدد الخبر وقال الزمخشري "فعال خبر مبتدأ محذوف وفعال صيغة مبالغة تدل على الكثرة وقال الفراء هو رفع على التكرير والاستئناف لأنه نكرة محضة.</p>	<p>وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ⑤ ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدُ ⑤ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ</p>
<p>هل هي بمعنى قد وقيل هي استفهام تقريرى تعجبي أتاك فعل ماض والكاف ضمير في محل نصب مفعول به، حديث فاعل مرفوع، الجنود مضاف إليه مجرور بالكسرة.</p>	<p>هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ</p>
<p>فرعون بدل من الجنود وثمود معطوف مجرور، بل حرف إضراب مبنى على السكون، الذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ، كفروا فعل وفاعل "جملة صلة لا محل لها من الإعراب، في تكذيب جار ومجرور في محل رفع خبر المبتدأ".</p>	<p>فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ⑤ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ</p>
<p>الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع، من ورائهم جار ومجرور متعلقان بمحيط، محيط خبر مرفوع.</p>	<p>وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ</p>

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١٠﴾
فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ

بل حرف إضراب انتقالي للأشد، هو ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، قرآن خبر مرفوع، مجيد نعت مرفوع، فى لوح نعت ثان، محفوظ نعت للوح مجرور.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البيان والبديع نذكر منها.

❖ الطباق بين ﴿ يُبَدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ وهو لتأكيد قدرة الله عز وجل على الخلق فى البداية والإحياء يوم القيامة للحساب.

❖ الجناس فى قوله تعالى ﴿ وَشَاهِدُوا مَسْهُودًا ﴾ وهو جناس اشتقاق.

❖ تأكيد المدح بما يشبه الذم فى قوله تعالى ﴿ وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ وكأنه يقول: ليس لهم جريمة إلا إيمانهم بالله وهذا من أعظم ما يفتخر به الإنسان.

❖ المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ

❖ أسلوب التشويق لاستماع القصة ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ .

❖ صيغ المبالغة فى قوله تعالى ﴿ فَعَالٍ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وكذلك قوله تعالى ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾.

❖ السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

